

الواقعية السحرية في الرواية الإسلامية المعاصرة رواية "تسعة عشر" لأيمن العتوم أنموذجا

The Magical Realism in the Contemporary Islamic Novel Ayman Al Atom's "Tis'ata 'Ashar" as a Model

حواء عبد اللطيف¹، أ، د فيصل حصيد²

Haoua abdellatif¹, Faicel Hacid²

¹ جامعة عباس لغرور - خنشلة/ الجزائر

² جامعة الحاج لخضر - باتنة/ الجزائر

University Abbés Lghrour - Khenchela - Algeria¹

University Hadj Lakhdar - Batna - Algeria²

abdellatif.haoua@univ-khenchela.dz¹ / faical.hacid@univ-batna.dz²

تاريخ النشر: 2021/11/04

تاريخ القبول: 2021/06/09

تاريخ الإرسال: 2020/11/09

ملخص البحث

تبحث هذه الدراسة في جماليات الرواية الإسلامية المعاصرة، وقدرتها على توظيف الواقعية السحرية في استيلاء تجربة فنية، تقحم الغيبيات الدينية في قضايا الواقع بهدف المساءلة والتوجيه، عبر توسط مكونات السرد وتواشجها مع المرويّات الدينية، من خلال رواية "تسعة عشر" لأيمن العتوم.
الكلمات المفتاح: واقعية سحرية، رواية إسلامية، رؤية إسلامية، تراث، غرائبية.

Abstract :

This study examines the aesthetics of the contemporary Islamic novel and its ability to employ magical realism in generating an artistic experience. This latter will involve religious metaphysics in the issues of reality to evaluate and guide, through its harmonious interference within both narrative components and religious narratives in Ayman Al Atom's novel "Tis'ata 'Ashar".

Keywords: Magical realism; Islamic novel; Islamic vision; Heritage; Fantastic.



تمهيد:

تحاول الرواية الإسلامية أن توجه فنياتها وفقا لمتطلبات العصر وقضاياها، وذلك من خلال استراتيجيات سردية تمكن الروائي من استخدامها كجسر لتبرير رؤيته، وموافقته المستمدة من الدين، فرغم تنوع

^{*} حواء عبد اللطيف abdellatif.haoua@univ-khenchela.dz

الحوادث والقضايا عبر الزمن، وتعدّد طرق التعبير عنها؛ فإنّ القيم الإسلامية ثابتة متجدّدة يحتاجها الإنسان في كلّ وقت وحين.

تسعى هذه الدراسة من خلال الوصف والتحليل البحث في تلقّي الرواية الإسلامية للواقعية السحرية، والكشف عن مكونات البنية السردية في الواقعية السحرية الإسلامية، ومدى مساهمتها في تقديم الرؤية الإسلامية في هذا النمط الروائي الجديد، ليكون السؤال الإشكالي: كيف اشتغلت الواقعية السحرية كخطاب روائي إسلامي؟ وما هي الخصائص التي تحدّد الواقعية السحرية الإسلامية؟ وما هي القضايا والقيم التي عبّرت عنها؟ وذلك بهدف الكشف عن قدرة الرواية الإسلامية على استخدام مختلف القوالب الفنية والأنماط التعبيرية من جهة، والتعرّف على خصائص الواقعية السحرية الإسلامية من جهة أخرى. تتطلب الضرورة المنهجية الوقوف على الحدود المفاهيمية لكل من الواقعية السحرية، والرواية الإسلامية المعاصرة، وحقيقة العلاقة القائمة بينهما، خصوصا مع تشجيع الأدب الإسلامي للواقعية، علاوة على موقفه من السحر القائم على أرضيته العقديّة، ومن ثمّ نتقل إلى ديناميات الواقعية السحرية في الرواية المدونة.

أولا الواقعية السحرية:

يعدّ مصطلح الواقعية السحرية من المصطلحات التي عانت التباسا مفاهيميا، ممّا أثرى الساحة النقدية بتعاريف متنوّعة وتحديدات تراوحت بين الجدّيّة والدقّة حيناً، وبين الاستهزاء والرفض حيناً آخر، وقد "أجمع غالبية النقاد أنّ أول استخدام للمصطلح كان في ميدان الرسم، حيث استخدمه الناقد الألماني فرانز روه عام 1925 في كتابه "Nach-Expressionismus، Magischer Realismus: Probleme der neusten europäischen Malerei" (ما بعد التعبيرية، الواقعية السحرية: مشاكل الرسم الأوروبي المعاصر) للإشارة إلى شكل من أشكال اللوحات ما بعد التعبيرية التي اهتمت بالتفاصيل الدقيقة، وتمثيل الجوانب الصوفيّة غير المادية للواقع في محاولة لالتقاط لغز الحياة وراء الواقع السطحي"¹

لتمتد محاولة القبض على معنى الحياة وفهمها من اللوحات التشكيلية إلى آداب أمريكا اللاتينية، فأصبحت الواقعية السحرية بذلك "وسيطا سرديا وآلية فنية تناقش المفاهيم الثقافية باعتبارها مفاهيم للواقع"² ليتم تفسير العالم بحسب أنساقها ورؤاها، إذ "تكمن فائدتها في وصف موقف معين لمعتقدات غير علمية وغير براغماتية في عالم معولم يتأثر بالعلم والبراغماتية"³ وانتشرت بعدها في مختلف أنحاء

العالم، على أن هذه الأنساق لم تكن موقع احتفاء من الغرب العلمي، وإنما تم اعتبارها خيالاً وخوارق لا معقولة.

إنّ التجاور الذي يبدو تعسفياً لمصطلحي الواقعية والسحرية في تركيب مفهومي واحد، أدى إلى تنوع الفروع البحثية حولها؛ فتم اعتبارها مكوناً من مكونات ما بعد الحداثة القائمة على تداخل الحدود، كما نسبت لثقافات ما بعد الاستعمار تارة أخرى نتيجة سعيها الدائم للتحرر من التمثلات السلطوية الاستعمارية القائمة، فكانت بذلك "وسيلة سرد شعبية؛ لأنها تقدّم للكاتب الرّاعب في الكتابة ضد الأنظمة الشمولية وسيلة لمهاجمة التعريفات والافتراضات التي تدعم هذه الأنظمة (مثل الاستعمار)، عن طريق مهاجمة استقرار المفاهيم التي تعتمد عليها"⁴ وأتّامها ومساءلتها في ضوء المزاج الثقافي المحلي.

بعد استعراض الكثير من التحديدات في كتابه، أورد "كريستوف ورنز" تعريف الواقعية السحرية بأنها "نمط سردي يعمل على تطبيع الخوارق لتبدو بشكل حقيقي وواقعي، حيث يتم رصف الخوارق والوقائع في حالة من التماسك والتكافؤ في نص لا يطالب بالمرجعية"⁵ على أن هذا التطبيع والتواطؤ المتعمد من الرّوائي في عقلنة الخوارق، يصاحبه توافق خارجي من القارئ للنص "فمن ميزات الواقعية السحرية هي اعتمادها على القارئ في قبول كلّ من الأحداث الواقعية والسحرية على نفس المستوى"⁶ تعتمد الواقعية السحرية على جملة من السمات والخصائص التي يستوجب توقّفها في الرواية التي تحتويها، وقد حدّدتها "ويندي فارس" في خمسة عناصر هي:⁷

1- "عنصر غير قابل للاختزال" من السحر

2- الوصف التفصيلي لتواجد قوى هائلة

3- مواجهة القارئ بعض الشكوك المزعجة في محاولة فهمه لوجود أكثر من دلالة للأحداث.

4- دمج السرد لمختلف العوالم.

5- تلفت اضطرابات الواقعية السحرية الفكر إلى الوقت، الفضاء، والهوية.

وتوالد عن هذه الخصائص تفرعات كثيرة من شأنها شحن الديناميات السردية بالرؤية المبتغاة، كالتميز وتداخل العوالم النفسية بالفضاءات التخيلية وغيرها. ولئن تبدت الواقعية السحرية كنمط سردي له خصائصه ومكوناته إلا أن ذلك لا يرأب صدعا في اختلاف تمثلاتها لتنوع المدلولات الثقافية لمصطلح السحرية؛ "فالسحر والسحرية هي بنيات تمّ إنشاؤها في سياقات ثقافية معينة. وعليه فالواقعية السحرية

لديها العديد من أشكال السحر، والسحر فيها عدد السياقات الثقافية التي تنتج فيها هذه الأعمال عبر العالم⁸

ذلك أن مفهوم السحري مثلا في الغرب مختلف عنه في الشرق، نظرا لاختلاف السياقات التاريخية التي أنشأت هذا المفهوم في كليهما، وباعتبار أن ثقافة الغرب "ثقافة سيطرة ذات جذور تقنية"⁹ فإن تعريفه للسحري جاء من قبيل الخارق للمنطق والذي لا يمكن حدوثه "فهو شيء لا يمكننا تفسيره وفقاً لقوانين الكون كما تمت صياغتها في خطاب الإمبراطورية الغربية القائم أتوماتيكيا على أسس المنطق والمعرفة المؤلف¹⁰ في حين يختلف مفهوم السحري في الشرق فثقافته "ثقافة حضارة ذات جذور أخلاقية وغيبية"¹¹ مما يجعل السحر مرتبطا بالخفاء؛ "السحر لغة: ما خفي ولطف سببه، ومنه سمي السحر لآخر الليل، لأن الأفعال التي تقع فيه تكون خفية، وكذلك سمي السحور، لما يؤكل في آخر الليل، لأنه يكون خفياً، فكل شيء خفي سببه يسمى سحرا"¹²

وتواصل خاصية الخفاء مع المعنى الاصطلاحي "السحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعاونة منه... ومن السحر الأخذة التي تأخذ بها العين حتى يظن أن الأمر كما يرى وليس الأصل على ما يرى"¹³ إذ يرتبط بعالم الشياطين المخفي، وفي التصرف بخفية لأجل التمويه والخداع.

ينشأ إذن عن اختلاف البنيات السحرية توالد مجموعة من الواقعية السحرية التي تتعدد بتعدد مفاهيم السحرية عند مختلف الشعوب، بما فيها العربية. إذ ظهرت كتابات روائية جادة استطاعت أن تناقش القضايا الراهنة للإنسان العربي في سرد يمور بالخوارق والfantasies، تنبعث فيه شخصياتنا بأفئدة تاريخية، وتشكل فيه دواخلنا في فضاءات فنية عجيبة وفق استراتيجيات الواقعية السحرية ذات المفاهيم العربية، حيث يتصاحب فيها الغيب المقدس مع الحكايات الشعبية، وتتعالى فيها أصوات المهتمشين وتبدى فيها مدننا كفضاءات عجائبية لما يتجسد فيها من خوارق.

ثانيا الرواية الإسلامية:

تنصّ مختلف التعريفات على كون الرواية الإسلامية رواية تنطلق من مضامين إسلامية "إذ تصدر عن رؤية عميقة واعية لقضايا الوجود والوجود، منطلقة من تفسير إسلامي، متوغلة داخل أعماق النفس البشرية، وتعمل على تحليلها وتقديم العلاج الناتج لها"¹⁴ فالدين حين يصبح منطلقا للرواية -أي تصبح إسلامية- فمعناه تجسيد هذه القيم وتوثيق صلتنا بها، ومحاولة للربط بين المثالي -الدين- والواقعي في إطار السعي نحو الكمال، وفق رؤية شاملة تشع من الفن جمالا، ومن الدين صدقا ومثالية، وبالتالي مزج الرؤية

الإسلامية بالمتخيل الروائي، وعليه فإن "الرواية الإسلامية قد تلتقي مع الروايات الأخرى في جوانب وتفترق عنها في جوانب، وهي في هذا الالتقاء أو الافتراق لا تتعمد ذلك تعمداً، ولا تسعى إليه سعياً؛ بل يملئ ذلك عليها وبشكل تلقائي عفوي تصوّرها الإسلامي الذي تصدر عنه"¹⁵

يعمل تصوّر الإسلامي كميزان لمختلف القضايا الأدبية والقوالب الفنية، وعلى شروطه تمّ نحت الواقعية السحرية، بحيث عمل الروائيون الإسلاميون على تفرغ مصطلح السحرية من جانبها السلبي القائم على الخداع والمضرة، ليتم شحنها بمحولات فنية تتواشج مع المخيال الديني؛ وهذا ما سنقف عليه مع رواية "تسعة عشر" لأيمن العتوم. باعتباره من أشهر رواد الأدب الإسلامي المعاصر، شعراً ورواية، حيث قدم لمكتبة الأدب الإسلامي ثلاثة دواوين شعرية، وأزيد من إحدى عشر رواية تنوعت بين السيرة الذاتية إلى السياسية والواقعية والتاريخية، علاوة على الواقعية السحرية شأن الرواية المدونة.

ثالثا الواقعية السحرية في رواية "تسعة عشر":

1 سحرية العنوان:

يمثل العنوان العتبة النصية الأولى التي تأخذ بأيدينا إلى عوالم النص، وبعد المصافحة الأولى بين المتلقي والقارئ الذي يستنطق من خلاله ثنايا النص "باعتباره أعلى اقتصاد لغوي ممكن"¹⁶ من شأنه تقرير مصير قراءة النص أو عدمها.

تبدأ الواقعية السحرية في الرواية ابتداءً من العنوان، حيث جعل "أيمن العتوم" لنفسه اتجاهها متفرداً في اختيار عناوين رواياته من القرآن الكريم، ولم يخرج عن ذلك في رواية واحدة من رواياته الإحدى عشر، حيث استخدم "العتوم" سحر البيان القرآني لعناوين أعماله، فأول ما يقرأ العنوان "تسعة عشر" حتى تتبادر إلى الأذهان الآية الكريمة من سورة المدثر: ﴿عليها تسعة عشر﴾¹⁷ وهو عدد زبانية جهنم الذي جعله الله فتنة، هذا التناص القرآني الصريح لم يكن واجهة إعلامية للرواية، وإنما كان ركيزة أساسية يقوم عليها معمار السرد، فالدلالة السلبية للعدد المشبعة بالفتنة والعذاب تحيّم على بنية الرواية وأحداثها، فتسعة عشر هي كلمة السر التي بمجرد نطقها انفتح القبر على البطل بعد عودة الروح إليه، ليخرج إلى عالم البرزخ ويعيش أحداثاً غريبة ومؤلمة جعلته يندم على خروجه منه، فنجد العدد يلعب دور البطولة في توجيه البطل وتحديد طريقه لأجل البحث عن الأناش والأمان، بعد أن عدّته الوحدة والاعتراب، وذلك من خلال جمعه لريشات طائر العنقاء التسعة عشر، تنبت في كل مكان سقطت فيه ريشة شجرة، ويسمّي كل واحدة باسم معين، كشجرة البيعة وشجرة الرؤية، وشجرة الجحيم، في لعبة دلالية توزّع الفخاخ للقارئ في كل

مرة، ليجد تحت كل شجرة عالما يضم شخصيات عاشوا لأجل تلك القيمة التي تسمى بها الشجرة وماتوا عليها، ليظهر العدد مجددا في طوابق المكتبة التسعة عشر التي عدّ فيها مختلف أصناف المعرفة والعلوم الإنسانيّة، وللكشف عن قبر المتنبي لاحقا، والشياطين التي تحمل العدد نفسه، لتعود الريشات بعدها لا كبوصلة اتجاه وإنما كمفاتيح سحرية من شأنها إيقاظ الناس من قبورهم، الوضع الذي أعاده إلى حالة الاغتراب الأولى التي قام بها من قبره.

يلعب العنوان دورا محوريا فيسحرية الرواية وغرائبية أحداثها، فلئن تحدثت الآية عن زبانية جهنم، فإن هذه الرواية تأخذنا في عالم سحري جمع بين الغيب المنتظر في الضفة الأخرى بعد الموت، وبين الحاضر الدنيوي، في رحلة برزخية لرجل ميت يحاول فيها أن يخلص إلى الأنس والطمأنينة ولكن هيهات؛ إذ ربطت سحرية العلاقات بين الأشياء التي تحمل عدد تسعة عشر خيوط السرد ودلائله لتعرفنا عن زبانية العذاب التي أنهكت إنسانيتنا وذهبت بدفنها لنعيش في جحيم الفراغ.

2 سحرية التداخل التراثي:

اعتمد "العنوم" على التراث الإنساني المليء بالغرابة والعجائبية المعبرة عن معارف كل عصر وفلسفته، " كرسالة الغفران" لأبي العلاء المعري، حيث تتقاطع مع الرواية في الكثير من العناصر كمحاورة الشعراء ومسامرتهم اعتمادا على الجانب العقدي، ووصف الجنة والنار، علاوة على التزام كل منهما بمناقشة أفكار عصره. ثم إنّ فكرة اغتراب البطل ووحشته لوجوده في مكان غريب لم تكن بالفكرة الجديدة؛ فقد سبقه إليها "بن طفيل" في "حي بن يقظان" ودانيال ديفو في رواية "روبنسون كروز" حيث ناقشت الروايتين الضياع والاغتراب، وعبرت كل منهما عن رحلة البحث عن المنقوص، والذي كان دينيا عند "بن طفيل" وماديا - السيطرة والمال - عند "دانيال ديفو".

كما تتقاطع الرواية مع "الكوميديا الإلهية" لدانتي في وصفها للآخرة وفق الديانة المسيحية، وتفصيل الرحلة، واستحضار مختلف الشخصيات الدينية والتاريخية ومحاورتها، حيث استحضرت الروايات نصوصا وشخصيات متنوعة: دينية، أدبية، أسطورية، وتاريخية، بل وحتى علمية علاوة على السياسية. وتوظيف هذه النصوص والشخصيات المختلفة كان بهدف استيعاب المضامين الحضارية للإنسان على وجه البسيطة، في محاولة لرأب الصدع بين الاختلافات من خلال رؤية شمولية تعيد للوجود الإنساني أمانه واستقراره.

كما تم تشكيل البنية الإطارية للسرد وفق طريقة "ألف ليلة وليلة" فمستويات الحكيم/تداخل وتوالد وتتقاطع وفق منطق داخلي غريب، وطبقات تمتلئ بضروب من الإحالات والإشارات تسهم على صعيد آخر في تكتيف السرد¹⁸ وفي تجاوز الواقعي والسحري في بناء عالم يضح بالخوارق والفكر السليم معا، إذ وجد الروائي في المرويات الدينية أرضية خصبة تتفجر بالخيال وتحتشد بالأنبياء والصالحين، والقصص المدهشة، والمعجزات المذهلة، مما يلهب الحس، ويوقظ الغفلة، ويفتح البصيرة، وتمثل الأطر في:

أ-الحكاية الإطار: تبدأ من لحظة عودة الروح للبطل ونهوضه من القبر.

ب-الحكايات المضمنة: وتتناسل كثيرا في الرواية وتشمل ذكرياته في الفانية وأحداثها المختلفة، علاوة على قصص بعض الشخصيات التي حدثتها تحت الأشجار، أو تلك التي اجتمع بها في المكتبة.

ج-الحكايات الفرعية: وهي التي روتها الشخصيات التي قامت من قبورها، كالمتنبي، وأرسطو في حديثه عن سقراط والاسكندر المقدوني، والبابا غريغوري السابع، والجدير بالذكر أن هذه الحكايات كانت متضمنة في حوار البطل معهم.

3سحرية الشخصيات:

تصوّر الرواية الإسلامية الشخصيات على أنهم أشخاص عاديون يتعرضون لأزمات وأحداث وصدّامات يتعاملون معها بمرجعية دينية ثابتة فيجسدون المنهاج الذي يمكن أن يعيش به المجتمع الراهن بثقافة دينية أصيلة، "ولأن الحياة تكشف للروائي عن مطلع الطريق، وسيسلكه في غير الاتجاه الذي اتجهت إليه الحياة؛ فيبرز المضمّر، ويحقّق الممكن ويجلو الغامض"¹⁹ فقد استعان "العتوم" بالواقعية السحرية في تقديم روايته، واستيلاء شخصياتها من خلال تجربة فنية تسعى إلى البحث في رحلة الإنسانية على وجه البسيطة عبر مختلف الأزمنة، من منظور فوقي يجلي الحقائق، ويبعثها في استعارات رمزية مفتححة توتر القارئ وتدعو للتفكير والاستفهام.

نرى أول خرق لقوانين المنطق في القدرات الخارقة للبطل، والأحداث التي يعيشها في عالم سحري؛ إذ يستطيع البقاء لأعوام دون ماء أو طعام، وفي ركض متواصل دونما إجهاد أو تعب، الأمر ذاته مع شخصية الشيخ التي ترفل بعجائبية مقدّسة، وهي تقوم بدور الموجه والمعلم للبطل، إذ يبدو وكأن هذا الشيخ يعرف كل شيء ويراقب البطل في حياته البائسة، ولا يتدخل إلا إذا تطلّب الأمر ذلك، علاوة على خروج الشعراء والعلماء من بطون الكتب في المكتبة ومحاورتهم للبطل دونما تجسّد شكلي.

إلى جانب كل تلك الخوارق استطاع "العتوم" أن يحتفظ بإنسانية البطل الذي يحاول جاهدا أن يستعيد ذاته ويقبض على الحقيقة، فأن يصبح جزءا من عالم البرزخ لا يعني أنه فقد ارتباطه بالعالم الدنيوي، فنجد البطل مكبلاً في اغترابه القديم، تحركه الرؤى وشخصية شيخه الدنيوي، كما حركته الكتب والأشعار سابقا، تحركه إنسانيته الهشة بحثا عن أنيس يشاركه وحدته واغترابه.

4 سحرية الفضاء:

يقع الفضاء في رواية "تسعة عشر" في عالم غيبي، منعزل عن الجغرافيا و لا تؤثر فيه الأزمان، عالم برزخي يتموقع كحجر بين العالم الدنيوي الواقعي والعالم الغيبي، حيث مارس "العتوم" لعبة التفكيك والتكريب ليصنع معمارا غرائبيا عجبيا، يوحى بدقة التفاصيل على واقعيته، ذلك "أن المكان الذي ينحذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مبالياً... فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما للخيال من تحيز"²⁰

انسحب الروائي من العالم الواقعي محاولا إلقاء نظرة عليه من عالم علوي، ليتم "التحوّل من عالم الحياة اليومية بحسيته وأشياءه وظواهره المتنوعة والمختلفة إلى عوالم فعالة من التخيل عبر لغات مختلفة: علامات لغوية، وألوان، وأصوات، وصور..."²¹ إلا أن هذا العالم لا ينقطع عن العالم الدنيوي، فكل ما تركه البطل وراءه من إشكاليات يجده في هذا العالم.

إنّ توزيع الأمكنة في هذا الفضاء وتفصيل وصفها يزيد من سحرية الرواية وواقعيته في الوقت نفسه "فالعجائبي المتمثل في الظهورات والهواجس والاستيهامات والصور والمواقف والأحداث فوق الطبيعية يحتاج في تحليته إلى أمكنة، هذه التي يجب أن تتلائم مع طبيعته المرعبة"²² ففي البداية تعود الروح للبطل فيعاني من الضيق الشديد للقبر، ويشعر بمعاناة في التنفس والحركة محاولا التخمين كم لبث هنا من قرون ذلك "أن المكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها، يحتوي على الزمن مكثفا"²³ حتى إذا نطق كلمة السر (تسعة عشر) وخرج من القبر واجه اتساعا شديدا، وأرضا حيادية لا تشي بأي علامة للحياة والحركة؛ "وهذه المتاهة المكانية، والالابهاية في البعد المكاني، تضيف على النص الحيرة والإدهاش، وتعمل على تحريك المتلقي وتهيجه في أكثر من اتجاه، وهذه هي من غايات تشكيل النص السحري"²⁴ ليحدّد طريقه بالرؤيا التي أمرته باتباع الريشات.

يستمر اختلاف الأمكنة وازدياد غرائبيتها؛ ففي هذا العالم تنبت الشجرة كنتيجة حتمية لسقوط ريشة من طائر العنقاء، وتنتعش العوالم وتكتنظ تحت كل شجرة بأهلها، لكن هذه العوالم نوافذ لعالم آخر يراه البطل

ولا يستطيع التواجد فيه، فيتخيل أحاديثا مع من يراهم من خلالها، ليصل بعدها إلى الجنة بعد اجتياز صراط خطير تمثل في نحر تملأه الوحوش. ولأن استلاب الحرية يعطي للمكان أبعادا أخرى تصورها نفسية الإنسان، لتضفي على معماريته أبعادا دلالية جديدة فإننا نجد البطل الميَّت يخاطر بحياته لأجل العودة إلى ذلك السديم، تاركا الجنة وراءه بعد أن أعيته الوحدة، لتزيد الأمكنة من تعزيبها؛ فالغابات في هذا العالم تنبت بالقبور لا بالعشب، والذئاب تعوي، والأرواح تخرج من الكتب وتجاوز وتدافع عن اتجاهاتها، لتأخذ طوابق المكتبة وظيفه الشجرات الأولى باحتواء العوالم كلها.

5 سحرية الزمان:

يلعب الزمان دور البطولة في الرواية، بداية من استيلاء بعد زمني جديد بعد توقف الزمن الأول بموت البطل، تكمن سحرية هذا الزمن في توقّف آثاره على دلالات الأشياء والأماكن وحسب، دون أن تمس عواديه جسد البطل بكبير أو هرم، علاوة على تداخل الأزمنة وتظافر التاريخ في بوتقة الراهن، فرغم موت البطل وبعثه في حياة البرزخ إلا أنه يظل مرتبطا بكل حوادث الماضي وذكرياته، فالماضي لم يعد هناك وراء البطل، وإنما أصبح أمامه، ولعل ذلك يعود إلى ارتباط منازل الآخرة بأعمال الدنيا.

6 سحرية اللغة:

"إن العمل الأدبي بناء لغوي يستغل كل إمكانات اللغة الموسيقية، والتصويرية، والايحائية الدالة في أن ينقل إلى المتلقي خبرة جديدة منفعلة بالحياة"²⁵ وتلعب الرموز دورا كبيرا في سحرية الرواية، حيث حشد "العنوم" جملة من الرموز في بناء ركائز عالم الرواية، وجعلها فخا دلالية يزل فيها فكر القارئ في كل مرة، فيهوي في التساؤلات، من بينها:

أ- العدد تسعة عشر: الذي يسيطر على الرواية من العنوان إلى النهاية، بحيث صممه الكاتب لتوجيه الأحداث وتصميم العلاقات بينها.

ب- الريشات: تأخذ الريشات بعدا دلاليا محملا بالتاريخ الإنساني، فالريشة هي قلم الإنسان الأول التي حفظ بها العلوم، لذا فلا ضير أن تحيا حيوات عديدة في الأرض التي وجدت فيها وتنتبت الأشجار للدلالة عليها، فالريشة هي قلم القدر الأول الذي خط صحائف المقادير، وهي التي جمعت العلماء والشخصيات من أزمنة مختلفة على شجرة واحدة، فكل يبعث على ما مات ومع من يجب، فالريشة هي القلم الذي يرمز للعلم الذي بعث في نفس البطل طمأنينة وراح يتخيل المناقشات ويجري الحوارات المتتابعة إلى أن وصل بأقدامه إلى الجنة على خطى الخضر عليه السلام.

تنتهي وظيفة العلوم في الجنة، لأن البحث يتطلب حاجة إلى شيء ما، لذا فقد خبأ البطل ريشاته إلى حين، ولم يشعر بالحاجة إليها في المكتبة لتوفر آثارها في الكتب، لكنها تأخذ وظيفة جديدة فيما بعد وهي إيقاظ الناس من قبورهم.

خاتمة:

نستشف من خلال هذا البحث قدرة الرواية الإسلامية المعاصرة على احتواء الواقعية السحرية، واستثمارها ضمن حدود التصور الإسلامي دونما تعثر أو تشنج، بل على العكس من ذلك أثبتت الدراسة من خلال هذه المدونة مدى مرونة الرؤية الإسلامية في التعبير عن قيمها بمختلف القوالب الفنية.

هوامش

¹Maggie Ann Bowers, MAGIC(AL) REALISM, Routledge, 2004, p8

²Maggie Ann Bowers, MAGIC(AL) REALISM, Routledge, 2004, p3.

³المرجع نفسه، ص4.

⁴المرجع نفسه، ص4.

⁵Christopher Warnes, Magical Realism and the Postcolonial Novel Between Faith and Irreverence, CPI Antony Rowe, Chippenham and Eastbourne, 2009,p2,3.

⁶Maggie Ann Bowers, MAGIC(AL) REALISM,p3.

⁷Wendy B. Faris, Ordinary Enchantments Magical Realism and the Remystification of Narrative, Vanderbilt University Press , First Edition 2004.p6.

⁸Maggie Ann Bowers, MAGIC(AL) REALISM,p4.

⁹مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، تر: بسام بركة، أحمد شعبو، دار الفكر المعاصر (لبنان)، ص17.

¹⁰Wendy B. Faris, Ordinary Enchantments Magical Realism and the Remystification of Narrative, Vanderbilt University Press All rights reserved, First Edition 2004.p2.

¹¹مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، ص17.

- ¹² الدّور السنّيّة (موسوعة إلكترونيّة) إشراف: علوي بن عبد القادر السّقّاف، تاريخ النشر: غير موثق في الموسوعة، تاريخ الاطّلاع: ٢٥ سبتمبر ٢٠١٩، <https://dorar.net>
- ¹³ علي أحمد عبد العال الطهطاوي، تنبيه المخلوقات شرح اجتنابوا الموبقات، دار الكتب العلميّة (لبنان)، 2005، ص ١٠٠
- ¹⁴ عبد الفتاح عثمان، الرّواية الإسلاميّة وبنائها الموضوعي والفني، مجلّة الأدب الإسلامي، السّعوديّة، المجلد: غير مذكور، العدد: 38، السنة: 2003، ص 5.
- ¹⁵ وليد إبراهيم قصاب من قضايا الأدب الاسلامي، دار الفكر، (سوريا)، 2008، ص 185.
- ¹⁶ محمّد فكري الجزائر، العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، (مصر)، دط: 1998، ص 10.
- ¹⁷ سورة المدثر، الآية: ٣٠.
- ¹⁸ محمد مصطفى علي حسانين، الرّواية العربيّة وما بعد الاستعمار : التمثيل السردّي وسحرية التّاريخ، مجلة مقاليد، الجزائر، المجلد: غير مذكور، العدد: 6، السنة: 2014، ص 199.
- ¹⁹ فرنسوا موريناك، الرّوائي وأشخاص روايته، تر: عادل الغضبان، مجلة الكتاب، عدد ديسمبر، 1952، ص 1176، 1177 نقلا عن محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، (لبنان)، 1955، ص 89.
- ²⁰ باشلار، غاستون، جماليّات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، (لبنان)، 2000، ص 31.
- ²¹ حسين، خالد حسين، شعريّة المكان في الرّواية الجديدة، مؤسسة اليمامة الصحفّيّة، (السّعوديّة)، دط: 2000، ص 76
- ²² حسين علام، العجائي في الأدب من منظور شعريّة السرد، منشورات الاختلاف، (الجزائر)، ٢٠٠٩، ص 160
- ²³ باشلار غاستون، جماليّات المكان، ص 3
- ²⁴ داود نجاني، أحمد رضا صاعدي، آليات السرد ودورها في تشكيل بنية النصّ السّحري مقارنة أسلوبيّة لرواية «حارث المياه» لهدى بركات، مجلة الخطاب، الجزائر المجلد: 13 العدد: 02، السّنة: 2008م، ص 218.
- ²⁵ عزّ الدّين اسماعيل، الأدب وفنونه الدّراسة والتّقد، دار الفكر العربي، (مصر) 2013، ص 21